

لله في كلِّ ما يقضيه أسرارٌ ...

قصيدة رائية وفريدة راقية على فقيده الأمة، العالم الفاضل والزعيم الكامل، مأوى الفقراء والمساكين وملجأ الضعاف والخاملين، الحاج ممدٌ فيضي - ركن من أركان سمست كيرلا جمعية العلماء-، المتوفي في (٦/٧/٢٠١٧)

بقلم الأخ: محمد ضياء الدين الفيضي

(السيط)

كَيْفَ السُّرُورُ لِمَنْ فِي جَوْفِهِ نَارُ أَمْ كَيْفَ يَسْتَلُو فُوَادُ خَابَ أَنْوَارُهُ
مَا لِلزَّمَانِ يُعَادِينَا وَيَجْرَحُنَا يُفْنِي الْخِيَارَ، فَيَبْقَى فِيهِ أَشْرَارُ
نَعْيُ الْأَجْبَةِ وَالْأَعْلَامِ يَقْرَعُنَا يَوْمًا فَيَوْمًا، فَنَبْقَى مِنْهُ نَحْتَارُ
لَوْلَا الرَّجَاءُ لَذَابَ الْقَلْبُ مِنْ أَلَمِ مَا حَالُ عَيْشَتِنَا؟ مَا هَذِهِ الدَّارُ؟
نَعْيِ الزَّعِيمِ رَيْسِ الْقَوْمِ فَاجَانَا يَبْكِي الْجَمِيعُ كَمَا تَبْكِي مَلِيَّارُ
فَالْقَرْمُ مَمْدٌ فَيُضِي قَدْ تَفَارَقْنَا فِي حَالِ صِحَّتِهِ، وَالْكُلُّ أَقْدَارُ
وَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مُنَحْتِمٌ لله فِي كُلِّ مَا يَقْضِيهِ أَسْرَارُ
نَالَتْهُ حُمَى فَأَضْحَى فِي الْعِلَاجِ إِلَى أَنْ جَاءَهُ صَدْمَةٌ لِلْقَلْبِ، فَاحْتَارُوا
فَأَدْخَلُوهُ إِلَى قِسْمِ الْعِنَايَةِ، بَلْ خَابَ الرَّجَاءُ، فَارْبُ الْعَرْشِ يَخْتَارُ
فِي (دَاءِ) يُولِيُو^(١) قَدْ وَافَتْ مَنِيَّتَهُ قَبِيلَ فَجْرٍ خَمِيسٍ جَاءَ مِقْدَارُهُ
فِي سَبْعِ عَشْرَةَ وَالْأَلْفَيْنِ مِنْ سَنَةٍ قَبِيلَ مَعْرَبِهِ قَدْ تَمَّ إِقْبَارُهُ
صَلُّوا عَلَيْهِ جَمَاعَاتٍ بِسَاحَتِهِ يَبْكُونَهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تَنْهَارُ
وَعُمُرُهُ نَاهَزَ السَّبْعِينَ مِنْ سَنَةٍ وَآ مَنْ مَضَتْ فِي سَبِيلِ الدِّينِ أَعْمَارُهُ!
قَرْمٌ نَبِيلٌ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَشْجَعُهُمْ ذُو الْعِلْمِ وَالْجُودِ، عِنْدَ النَّاسِ مُخْتَارُ
مِنْ أَسْرَةٍ جُلُّهُمْ أَرْكَانُ مِلَّتِنَا بِالْفَضْلِ قَدْ عُرِفُوا، لِلنَّاسِ أَبْرَارُ
شَقِيقُهُ شَيْخُنَا عَلِيُّ الْعَلَمِ^(٢) طَارَتْ بِسَمْعِنِهِ وَالصَّيْتِ أَفْطَارُ

(١) داء: إشارة إلى تاريخ الوفاة بحساب الجمل، أي في ستة من يوليو سنة ألفين وسبع عشرة.

(٢) هو الشيخ علي كوتي المسليار، شيخ الجامعة النورية والأمين العام لسمست كيرلا جمعية العلماء.

مَأْوَى الْكِرَامِ وَمَثْوَى الْقَائِدِينَ، فَهُمْ
وَقَائِدًا كَانَ فِي جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ
وَفِي اتِّحَادِ شَبَابِ السُّنَّةِ^(٣) اشْتَعَلَ
كَمْ مِنْ مَعَاهِدٍ قَدْ صَارَ الْأَمِينُ لَهَا
كَمِثْلِ جَامِعَةِ نُورِيَّةٍ فَعَدَتْ
قَدْ كَانَ مَرْجِعَ طُلَّابِ أَسَاتِذَةِ
وَمَجْمَعِ الشَّيْخِ بَحْرِ الْعِلْمِ كُوْتُمَلًا^(٤)،
وَفِي جَرِيدَتِنَا^(٥) أَضْحَى الْمُدِيرَ لَهَا
بِالْمَالِ وَالْجَاهِ قَدْ مَنَّ الْإِلَهُ لَهُ
كَمْ أُسْرَةٌ مَسَّهُمْ فَقَرُّ فَكَفَّلَهُمْ
سَهْلُ الْمَنَالِ وَلَيْنُ الْجَنِّبِ سَمَّحُ يَدِ
لَا زَالَ يَلْبَسُ زِيَّ الْعِلْمِ مُبْتَهَجًا
وَكَانَ يَصْطَحِبُ السَّادَاتِ وَالْعُلَمَاءِ
فَكَانَ يَخْدِمُ كُنْيَاتٍ وَكُوْتُمَلًا
وَعَاشَ ظِلَّ شِهَابِ سَيِّدِ الزُّعَمَاءِ
فَكَانَ يَخْدِمُهُمْ بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ
مُقْدَامًا أَمَّنَّا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ
وَاهَا لِهَمَّتِهِ الْعُلْيَا وَجُرْأَتِهِ
وَجَهْ طَلِيقُ، كَلَامٌ طَيِّبٌ حَسَنٌ

(٣) اتحاد شباب السنة: (Sunni Yuvajana Sangam (SYS)

(٤) مجمع الشيخ كوتوملا: Kottumala Islamic Complex.

(٥) (دار الهداية): مجمع دار الهداية بإدبال. (أنوار): مجمع أنوار الإسلام بتروركاد، وكذا مجمع أنوار الهدى .

(٦) الجريدة اليومية "سوبرابهاثم" (suprabhatham) التي تصدرها سمستا.

(٧) مجلة النور العربية التي تصدر من الجامعة النورية العربية. أفكار: مجلة "سني أفكار" الأسبوعية. وهي مجلة رسمية لاتحاد

وَكَانَ يُصَلِّحُ ذَاتَ الْبَيْنِ مُحْتَسِبًا
رَأْسُ الْمَجَالِسِ دَوْمًا، إِذْ يَقُومُ بِهَا
كَمْ حَجَّةً حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ^(٨)
كَمْ بَلَدَةً زَارَهَا رَوْمًا مَنَظَرَهَا
رَبِّي بَنِيهِ بَعْلِمِ الدِّينِ وَالْكَرَمِ
لَهُ مِنَ الْوُلْدِ عَشْرٌ مَعَ ثَمَانِيَةٍ^(١٠)
فَاللَّهُ يَجْزِيهِ عَنَّا الْخَيْرَ يَرْحَمُهُ
يَا رَبِّ كُنْ لِضِيَاءِ الدِّينِ بِالْمَدَدِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى

وَرَأْيِهِ فَيَصَلُّ، وَالْقَوْلُ سِمْسَارُ
إِلَيْهِ تَمْتَدُّ أَعْنَاقُ وَأَبْصَارُ
وَبِالْمَشَاعِرِ لِلْحُجَّاجِ نَصَّارُ
وَكَانَ يُغْرِيبُهُ أَحْبَابُ وَأَسْفَارُ^(٩)
فَالْكَلُّ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ أَبْرَارُ
وَزَوْجَتَانِ فَكَالْأَيْتَامِ قَدْ صَارُوا
وَالذُّبَّ يَغْفِرُهُ، فَاللَّهُ غَفَّارُ
طُولَ الْحَيَاةِ، فَلَا تَأْتِيهِ أَضْرَارُ
آلِ صِحَابٍ وَمَنْ فِي نَهْجِهِمْ سَارُوا

(٨) وكان حجاج بيت الله، فقد حج أكثر من أربعين حجة، ومن العمرة والزيارة ما لا يحصى - تقبلها الله -.

(٩) وكان الشيخ ممد الفيضي يعجبه الأحباب والأسفار.

(١٠) أي ثمانية عشر ولداً، أحد عشر ابناً وسبع بنات.